الفصل الرابع
أرض المحشر

الأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1] . وقد حدثنا الرسول ﷺ عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي » قال سهل أو غيره : « ليس فيها معلم لأحد »[2] .

قال الخطابي : العفر : بياض ليس بناصع . وقال عياض : العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلا . وقال ابن فارس : معنى عفراء خالصة البياض[3] .

والنَقِيّ : بفتح النون وكسر القاف ، أي الدقيق النَقِيّ من الغش والنخال[4] .

والمعْلم : العلامة التي يهتدى بها إلى الطريق ، كالجبل والصخرة ، أو ما

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض ، فتح الباري : (١١/٣٧٢) . ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب البعث والنشور . (٤/٢١٥) ورقم الحديث : ٢٧٩٠ والسياق للبخاري .

(٣) فتح الباري : (١١/٣٧٥) .

(٤) المصدر السابق .

يضعه الناس دالا على الطرقات ، أو على قسمة الأراضي .

وقد جاءت نصوص كثيرة عن عدة من الصحابة تفيد معنى الحديث الذي سقناه هنا ورواه صاحبا الصحيح ، فقد أخرج عبد بن حميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] الآية . قال : تبدل الأرض أرضا كأنها الفضة لم يسفك عليها دم حرام ، ولم يعمل عليها خطيئة ، ورجاله رجال الصحيح ، وهو موقوف ، وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوع . وقال : الموقوف أصح[2] .

وأخرجه الطبري والحاكم من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود بلفظ « أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة » ورجاله موثقون أيضا[3] .

وعند عبد بن حميد من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال : بلغنا أن هذه الأرض يعني أرض الدنيا تطوى ، وإلى جنبها أخرى يحشر الناس منها إليها . وفي حديث الصور الطويل : « تبدَّل الأرض غير الأرض والسموات ، فيبسطها ويسطحها ، ويمدّها مدَّ الأديم العكاظي ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة ، فإذا هم في هذه الأرض المبدَّلة ، في مثل مواضعهم من الأولى ، ما كان في بطنها كان في بطنها ، وما كان على ظهرها كان على ظهرها[4] .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي يبدَّل من الأرض إنما هو صفاتها فحسب ، فمن ذلك حديث عبدالله بن عمرو الموقوف عليه ، قال : « إذا كان يوم

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ .
(٢) فتح الباري : (١١/٣٧٥) .
(٣) فتح الباري : (١١/٣٧٥) .
(٤) فتح الباري : (١١/٣٧٥) .

القيامة مُدَّت الأرض مدّ الأديم ، وحشر الخلائق » . ومن ذلك حديث جابر رفعه : « تمدُّ الأرض مدّ الأديم ، ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه ». ورجاله ثقات ، إلا أنه اختلف على الزهري في صحابيه[1] .

ومنها حديث ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[2] ، قال : « يزاد فيها ، وينقص منها ، ويذهب آكامها وجبالها ، وأوديتها ، وشجرها ، وتمدّ مدَّ الأديم العكاظي[3] » .

الوقت الذي تبدَّل فيه الأرض غير الأرض والسموات

أفادنا الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط أو قبل ذلك بقليل ، ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[4] ، فأين يكون الناس يا رسول الله ؟ فقال : على الصراط »[5] .

وفي صحيح مسلم أيضا عن ثوبان أن حَبْرَاً من أحبار اليهود سأل الرسول ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تبَدَّل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر »[6] ، والمراد بالجسر الصراط .

---

(١) فتح الباري : (١١/٣٧٦) .

(٢) سورة إبراهيم : ٤٨ .

(٣) فتح الباري (١١/٣٧٦) .

(٤) سورة ابراهيم : ٨٤ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب البعث والنشور ، (٤/٢١٥٠) ورقمه (٢٧٩١) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة منى الرجل والمرأة ، (١/٢٥٢) ، ورقمه (٣١٥) .